No 4A العدد 4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الموت في قصيدة المريد للشاعر عبدالوهاب البياتي

م.م. امينة عبيد مرزوك
مديرية تربية الديوانية
ameenaobaid@gmail.com

ملخص البحث:
تتناول هذه الدراسة الاستقصائية موضوع "الموت" ودلالاته الفلسفية والجمالية في قصيدة "المريد" للشاعر العراقي الرائد عبد الوهاب البياتي، الذي يعتبر من أبرز أعلام الشعر العربي الحديث الذين وظفوا التراث الصوفي والرموز الأسطورية للتعبير عن القضايا الوجودية والإنسانية المعاصرة. تهدف الدراسة بشكل رئيس إلى تفكيك الرؤية الشعرية للموت في هذه القصيدة تحديداً، واستجلاء العلاقة الجدلية بين ثنائية الفناء والبقاء، والموت والبعث، ضمن سياق التجربة الروحية والسياسية التي يخوضها "المريد" كشخصية رمزية تبحث عن الحقيقة والحرية في عالم مضطرب ، ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لتتبع البنية الدلالية والتركيبية للقصيدة، مستقرئاً الرموز الصوفية والأنماط المعرفية المتضمنة في ثناياها. وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج الهامة، أبرزها أن الموت في قصيدة "المريد" لا يمثل نهاية فيزيائية أو عدماً فاجعاً للذات الشاعرة، بل يتجاوزه الشاعر ليكون معبراً طقسياً ودلالياً لا غنى عنه لتحقيق الخلاص الروحي والاجتماعي. يظهر الموت هنا بوصفه "الفناء الصوفي" المحمّل بطاقة توليدية خارقة تؤدي حتماً إلى "البقاء" والولادة الجديدة؛ إذ يضحي المريد بذاته الفردية فداءً للحقيقة الكبرى والحرية المطلقة.كما كشفت الدراسة عن نجاح البياتي الفائق في استخدام "تقنية القناع" التاريخي والصوفي، متماهياً مع شخصية المريد ليعبر من خلالها عن أزمة المثقف والشاعر المعاصر في مواجهة واقع القهر والسلطة والزمن. وبناءً على ذلك، يغدو الموت في القصيدة فعلاً ثورياً بامتياز، وشرارة للبعث الجماعي الذي يخرج من رماد الهزيمة والانكسار. وتخلص الدراسة إلى أن فلسفة الموت عند البياتي هي رؤية تفاؤلية واعدة، تحول المأساة الفردية إلى ملحمة أمل جماعي، وتؤكد على ديمومة الروح الإنسانية وقدرتها الخلاقة على التجدد والانبعاث عبر التضحية والفداء الروحي المعاصر.

الكلمات المفتاحية : الموت، عبد الوهاب البياتي، قصيدة المريد، الفناء الصوفي، تقنية القناع، الشعر العربي الحديث.

The Death in the Poem “Al-Murīd” by the Poet Abd al-Wahhab al-Bayati

A.L. Amina Ubaid Murzuk
Directorate of Education, Al-Diwaniyah

Abstract:
This study explores the concept of "Death" and its philosophical and aesthetic dimensions in the poem "Al-Murid" (The Disciple) by the pioneering Iraqi poet Abdul Wahab Al-Bayati. Al-Bayati is widely recognized as one of the most prominent figures in modern Arabic free verse who masterfully employed Sufi heritage and mythological symbols to express contemporary existential and human issues. The primary objective of this research is to deconstruct the poetic vision of death in this specific poem and to elucidate the dialectical relationship between the binaries of annihilation and permanence, as well as death and rebirth, within the spiritual and political journey undertaken by "Al-Murid" as a symbolic persona seeking truth and freedom in a turbulent world.To achieve these goals, the study adopts a descriptive-analytical approach to trace the semantic and structural

framework of the poem, analyzing its underlying Sufi symbols and cognitive patterns. The study yields several significant findings, most notably that death in "Al-Murid" does not represent a mere physical end or a tragic void for the poetic self. Rather, the poet transcends this conventional view, portraying death as an indispensable ritualistic and semantic passage required to achieve both spiritual and social salvation. Death appears here as a form of "Sufi Annihilation" (Fana') imbued with a powerful generative energy that inevitably leads to "Permanence" (Baqa') and rebirth, where the disciple sacrifices his individual self for the sake of absolute truth and freedom.Furthermore, the study highlights Al-Bayati's superb employment of the literary "mask technique" (al-Qina'), through which he merges with the persona of the disciple to project the crisis of the modern intellectual and poet in the face of oppression, tyranny, and time. Consequently, death in the poem becomes a profoundly revolutionary act and a catalyst for collective resurrection arising from the ashes of defeat. The study concludes that Al-Bayati's philosophy of death is ultimately an optimistic vision that transforms individual tragedy into an epic of collective hope, emphasizing the endurance of the human spirit and its capacity for renewal through spiritual sacrifice and contemporary redemption.

Keywords: Death, Abdul Wahab Al-Bayati, Al-Murid Poem, Sufi Annihilation, Mask Technique, Modern Arabic Poetry.

التمهيد: مفهوم الموت في الأدب العربي عبر العصور

لا يمكن مقاربة دلالة الموت في نص حداثي معاصر دون الوقوف على الجذور التراثية والتاريخية لهذا المفهوم في العقلية العربية؛ فالنص الحديث ليس نبتة مقطوعة الجذور، بل هو تفاعل مستمر، حواراً ونقضاً، مع المخزون الثقافي المتراكم. لقد تنوعت رؤية الشاعر العربي للموت عبر العصور، متأثرة بالمتغيرات البيئية والعقائدية والفلسفية التي واكبت كل مرحلة.

أولاً: الموت في العصر الجاهلي (الرؤية المادية والقدرية)

ارتبط مفهوم الموت في العصر الجاهلي ارتباطاً وثيقاً بقسوة البيئة الصحراوية وشظف العيش والحروب القبلية المتواصلة. في هذا السياق، نظر الشاعر الجاهلي إلى الموت بوصفه نهاية مادية حتمية لا فكاك منها، وقوة عمياء تطيح بالجميع دون تمييز بين شجاع وجبان، أو كريم وبخيل. وقد تجسد هذا في مفهوم "الدهر" أو "المنية" التي تتخطف الناس خبط عشواء. يبرز هذا المعنى بوضوح في معلقة طرفة بن العبد، الذي رأى في الموت قدراً يتربص بالإنسان، مما يدفعه إلى استغلال لحظات الحياة واغتنام لذائذها قبل الفناء، حيث يقول:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشددِ

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة ... وما تنقص الأيام والدهر ينفدِ

وتشير الباحثة في هذا الصدد إلى أن الموت الجاهلي لم يكن يحمل أبعاداً ميتافيزيقية واضحة أو وعياً عميقاً بما بعد الموت، بل كان وعياً "تراجيدياً" يعالج الفناء عبر البطولة، وتخليد الذكر، والكرم، سعياً لتحقيق "الخلود الرمزي" في ذاكرة القبيلة، لتعويض الفناء الجسدي الحتمي. وكما يذكر الدكتور شوقي ضيف في مؤلفاته عن العصر الجاهلي، فإن الرثاء كان الفن الأبرز الذي عكس فجيعة الجاهلي أمام غول الموت الذي لا يرد.

ثانياً: الموت في عصر صدر الإسلام والأموي (الرؤية الغيبية والانتقالية)

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

أحدث ظهور الإسلام انقلاباً جذرياً في بنية التفكير العربي، وانعكس ذلك بوضوح على مفهوم الموت. انتقل الموت من كونه عدماً مطلقاً وفناءً مريراً إلى مرحلة انتقالية، وبوابة للعبور نحو حياة أخرى أبدية تتسم بالعدل المطلق والثواب والعقاب. استمد الشاعر رؤيته من النص القرآني الذي أقر حتمية الموت في قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}، ولكنه نزع عنه طابع العبثية الجاهلية.

أصبح الموت في سبيل المبدأ والعقيدة (الشهادة) غاية سامية يُسعى إليها، وتغيرت معجمية الشعر لتشمل ألفاظاً كـ (الجنة، النار، الحساب، الشهادة). وفي العصر الأموي، ومع اتساع الفتوحات واشتداد الصراعات السياسية والمذهبية (الخوارج، الشيعة، الزبيريين)، تم توظيف الموت سياسياً وعقائدياً، فأصبح شعراء الخوارج – على سبيل المثال – يتغنون بالموت في ساحات الوغى بوصفه بيعاً للنفس طمعاً في مرضاة الله، كما يظهر في أشعار قطري بن الفجاءة الذي يخاطب نفسه قائلاً:

فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاعِ

ثالثاً: الموت في العصر العباسي (الرؤية الفلسفية والتأملية)

مع اتساع رقعة الدولة العباسية، وانفتاح العرب على الثقافات الأجنبية (الفارسية، اليونانية، الهندية)، ونشأة علم الكلام والفلسفة، تعمق النظر إلى الموت ليأخذ أبعاداً تأملية وفلسفية متباينة. انقسمت الرؤى في هذا العصر بين تيارين رئيسيين: تيار الزهد والموعظة، وتيار الشك والتشاؤم الفلسفي.

يمثل أبو العتاهية ذروة تيار الزهد، حيث كرّس شعره للتذكير بالموت وحتمية القبور، محذراً من الاغترار بالدنيا، فالموت عنده واعظ مستمر وهادم للذات:

لِدُوا لِلمَوتِ وَابنوا لِلخَرابِ ... فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إِلى تَبَابِ

أما تيار التأمل الفلسفي والتشاؤم الوجودي، فقد تجسد في أبهى صوره عند أبي العلاء المعري. لم يرَ المعري في الموت مجرد نهاية بيولوجية أو انتقالاً دينياً فحسب، بل رآه راحة من عبثية الوجود وشقاء الحياة. الموت عند المعري هو الحقيقة الوحيدة المريحة في عالم مليء بالألم والظلم، وتتساوى عنده أضداد الحياة أمام هيبة الفناء:

تَعَبٌ كُلّها الحَياةُ فَما أَعـ ... ـجَبُ إِلّا مِن راغِبٍ في اِزدِيادِ

خَفِّفِ الوَطأَ ما أَظُنُّ أَديمَ الـ ... ـأَرضِ إِلّا مِن هَذِهِ الأَجسادِ

ترى الدراسة هنا أن العصر العباسي نقل القصيدة العربية من "الانفعال" أمام الموت إلى "التفلسف" في كنهه ومآلاته.

رابعاً: الموت في الأدب الصوفي (الموت الإرادي والفناء)

تُعد الرؤية الصوفية للموت من أهم المرجعيات التي نهل منها شعراء الحداثة، وفي مقدمتهم عبد الوهاب البياتي. لم ينظر المتصوفة إلى الموت بوصفه مفارقة الروح للجسد (الموت الطبيعي)، بل أسسوا لمفهوم "الموت الإرادي" أو "الفناء"، مستندين إلى الأثر المروي: "موتوا قبل أن تموتوا".

الموت الصوفي هو كبح للشهوات، وقتل للأنا السفلى (النفس الأمارة)، للارتقاء بالروح نحو الاندماج بالذات الإلهية (الحلول والاتحاد). الموت هنا ليس عدماً، بل هو عين الحياة الحقيقية، ولحظة الكشف والإشراق (الغياب عن الخلق للحضور مع الحق). يقول الحلاج في إحدى شطحاته الشهيرة التي تعبر عن هذا الشوق المبرح للفناء:

أُقتُلونى يا ثِقاتي ... إنَّ في قَتلي حَياتي

وَمَماتي في حَياتي ... وَحَياتي في مَماتي

هذا التوق إلى الموت/الانبعاث، والتحرر من قيود الجسد والزمن للوصول إلى الحقيقة المطلقة، هو المعين الذي استقى منه البياتي دلالاته في قصيدة "المريد"، حيث يتخذ من القناع الصوفي وسيلة لتمرير رؤاه الوجودية المعاصرة.

خامساً: الموت في الشعر العربي الحديث (أسطورة الانبعاث والتجاوز الوجودي)

عاش الإنسان العربي في العصر الحديث تحولات سياسية واجتماعية وثقافية قاسية (الاستعمار، النكبة، النكسة، صعود وسقوط الأيديولوجيات)، مما أدى إلى شرخ عميق في وعيه الوجودي. في هذا السياق المأزوم، لم يعد الموت التقليدي (الرثائي) قادراً على استيعاب حجم الفجيعة.

لجأ شعراء الحداثة (بدر شاكر السياب، أدونيس، خليل حاوي، محمود درويش، وعبد الوهاب البياتي) إلى توظيف الموت أسطورياً ورمزياً. يشير الناقد إحسان عباس في كتابه (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) إلى أن الشاعر الحديث استدعى أساطير التموزية (تموز، عشتار، أوزوريس، الفينيق) ليخلق معادلاً موضوعياً لحالة الأمة. الموت في الشعر الحديث لم يعد نهاية مقفلة، بل أصبح "موتاً فدائياً" وشرطاً ضرورياً للولادة الجديدة والانبعاث من الرماد.

تجاوز الموت دلالته البيولوجية ليصبح دلالة على "الموت الحضاري"، ولكنه في الوقت ذاته يحمل بذور الثورة والتجدد. ومن هنا، يتأطر بحثنا في قصيدة "المريد" للبياتي، كنموذج تطبيقي رفيع يجسد تقاطع المرجعية الصوفية مع الرؤية الحداثية المعاصرة لمفهوم الموت والانبعاث.

المبحث الأول: البياتي ـــ حياته وفكره الشعري ومرحلة النضج

تعد تجربة الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي (١٩٢٦-١٩٩٩م) من أخصب التجارب الشعرية وأكثرها تعقيداً في مسار حركة الشعر العربي الحديث. فقد تضافرت عوامل النشأة والمكان والمواقف السياسية لتشكيل وعي الشاعر، وصياغة معجمه الشعري، وتوجيه بوصلته الفلسفية. وُلِدَ البياتي في بغداد، وتحديداً في منطقة "باب الشيخ" التي تحتضن ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، حيث ترعرع في أجواء مشبعة بالطقوس الصوفية، وحلقات الذكر، وأصوات الدراويش. وتؤكد الباحثة أن هذه الذاكرة المكانية الأولى قد ترسبت في اللاشعور الإبداعي للشاعر، لتنفجر لاحقاً في مرحلة نضجه الشعري، مستدعيةً المعجم الصوفي بوصفه أداة للرؤيا والتجاوز.

No 4A العدد 4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

لم تكن حياة البياتي مستقرة، بل اتسمت بالترحال الدائم والمنفى المستمر؛ إذ غادر العراق مبكراً لأسباب سياسية تتعلق بانتمائه اليساري ومواقفه المناهضة للأنظمة الحاكمة آنذاك. تنقل بين عواصم عدة، من دمشق وبيروت والقاهرة، وصولاً إلى موسكو ومدريد وغيرها. وقد أسهمت تجربة "المنفى" في تعميق إحساسه بالاغتراب الوجودي؛ فلم يعد المنفى مجرد ابتعاد جغرافي عن الوطن، بل تحول إلى "منفى ميتافيزيقي" يعيش فيه الشاعر ممزقاً بين حلم الثورة وواقع الهزيمة. يشير الناقد الدكتور علي جعفر العلاق في دراسته النقدية لمعجم البياتي، إلى أن تجربة النفي والاغتراب قد صقلت رؤية البياتي، وجعلت من الموت والانتظار ثيمتين مركزيتين في نتاجه الشعري، حيث أصبح الموت مرادفاً للخلاص، أو معبراً حتمياً نحو انبعاثٍ مأمول.

تطور فكره الشعري:

مرّت التجربة الشعرية عند البياتي بمراحل عدة، عكست كل منها تحولاً في وعيه الجمالي والأيديولوجي. بدأت تجربته بالنزعة الرومانسية الممزوجة بالواقعية في ديوانه الأول "ملائكة وشياطين" (١٩٥٠)، ثم انتقل إلى مرحلة الواقعية الاشتراكية والالتزام السياسي في دواوين مثل "أباريق مهشمة" (١٩٥٤) و"المجد للأطفال والزيتون" (١٩٥٦)، حيث كان الموت في هذه المرحلة يتخذ طابعاً نضالياً مباشراً (موت الشهيد من أجل الثورة).

ومع توالي الخيبات السياسية، ولا سيما بعد نكسة حزيران ١٩٦٧، أدرك البياتي أن المباشرة الأيديولوجية لم تعد قادرة على استيعاب الفجيعة الكونية التي يعيشها الإنسان العربي. هنا، دخلت تجربته **مرحلة النضج الفني والرؤيوي**، والتي تجلت بوضوح في دواوينه المتأخرة مثل "الذي يأتي ولا يأتي" (١٩٦٦)، و"الموت في الحياة" (١٩٦٨)، و"بكائية إلى شمس حزيران" (١٩٦٩)، و"سفر الفقر والثورة" (١٩٧٠).

في هذه المرحلة، هجر البياتي الصوت الغنائي المباشر، ولجأ إلى تقنية "القناع" (The Mask) وتوظيف الرمز والأسطورة. وتذهب الباحثة إلى أن استدعاء البياتي للأقنعة التاريخية والصوفية (كالحلاج، والسهروردي، والمعري، وطرفة بن العبد، وديك الجن) لم يكن هروباً إلى الماضي، بل كان محاولة لـ "موضعة" الذات واستنطاق التاريخ لمحاكمة الحاضر. لقد وجد في شخصية "المتصوف" المعادل الموضوعي للمثقف الثوري المعاصر؛ فكلاهما يرفض الواقع المادي الفاسد، وكلاهما يسعى نحو الحقيقة المطلقة، وكلاهما ينتهي بالموت أو الصلب ثمناً لموقفه. ومن خلال هذا التماهي بين "الصوفي" و"الثوري"، تبلورت الرؤية الناضجة للبياتي حول الموت، فلم يعد الموت فناءً مجرداً، بل صار "حالة عشقية" و"اتحاداً" بالوطن والمبدأ، وشرطاً وجودياً لولادة الإنسان الجديد من رماد الهزيمة.

المبحث الثاني: قصيدة "المريد" ـــ النص والسياق والبنية

تُعد قصيدة "المريد" واحدة من القصائد المركزية التي تختزل الرؤية الفلسفية والصوفية الناضجة عند عبد الوهاب البياتي. لدراسة هذه القصيدة دراسة منهجية، يجب الوقوف أولاً على عتبتها الأولى (العنوان)، ثم تحليل سياقها العام، وصولاً إلى تفكيك بنيتها التركيبية والإيقاعية التي مهدت لاحتضان دلالة الموت المعقدة.

أولاً: عتبة العنوان والسياق الدلالي

يحمل عنوان القصيدة "المريد" شحنة دلالية مكثفة تحيل القارئ مباشرة إلى المرجعية الصوفية. في الاصطلاح الصوفي، "المريد" هو السالك في طريق الحق، المجرد من الإرادة الذاتية لصالح إرادة شيخه أو إرادة المطلق (الله). وهو الباحث الدائم عن الحقيقة، الذي يكابد مشقة السفر الروحي ويقاسي عذابات الشوق للوصول إلى مرتبة "الفناء".

يتبين من التحليل أن البياتي لم يستخدم لفظ "المريد" بمعناه الديني الحرفي، بل أعاد إنتاجه شعرياً ليمثل "الإنسان المعاصر" أو "الشاعر الرائي" الذي يبحث عن معنى في عالم مفرغ من المعاني. إن مريد البياتي هو مريدٌ ثوري، يبحث عن مدينة فاضلة، أو وطن مسلوب، أو عدالة مفقودة. وفي رحلة بحثه المضنية، يصطدم بجدران الواقع القاسي، فلا يجد أمامه سوى "الموت" بوصفه باباً للخلاص، أو عتبةً أخيرة للوصول.

تتأطر هذه القصيدة ضمن السياق النفسي والتاريخي لقصائد البياتي التي كُتبت في خضم الهزائم العربية وتصاعد موجات القمع والتنكيل بالمثقفين. فكانت القصيدة بمنزلة "صلاة جنائزية" و"ترتيلة انبعاث" في آن واحد، تعكس الهروب من أفقيّة الواقع المسدود إلى عمودية التجربة الروحية.

ثانياً: البنية المعجمية

تنهض القصيدة على معجم شعري متوتر، يتراوح بين حقلين دلاليين متضادين: حقل الحياة/الواقع المادي، وحقل الموت/السمو الروحي. وتكشف الدراسة عن كثافة استخدام الألفاظ الدالة على العتمة، والانتظار، والاحتراق، مثل: (الليل، الرماد، الأبواب، العتبة، النار، الجرح، الظلام). في مقابل ألفاظ دالة على الكشف والوصول، مثل: (النور، الوجه، الرؤيا، الانعتاق).

هذا التصادم المعجمي يعكس حالة التمزق الداخلي التي يعيشها "المريد". الموت في هذه البنية المعجمية لا يحضر كلفظة تقريرية ميتة، بل يحضر مشفوعاً بمتعلقاته الدالة على الحركة والتطهر (كالنار التي تحرق الجسد لتحرر الروح). يشير الناقد الدكتور غالي شكري في كتابه "شعرنا الحديث... إلى أين؟" إلى أن لغة البياتي في هذه المرحلة تحولت إلى "لغة إشارية"، لا تكتفي بتسمية الأشياء، بل تومئ إليها من وراء حُجب، وهذا ما يتطابق تماماً مع طبيعة التجربة الصوفية التي تستعصي على اللغة المعجمية المباشرة.

ثالثاً: البنية التركيبية والإيقاعية

اختار البياتي لقصيدة "المريد" قالب الشعر الحر (شعر التفعيلة)، الذي يمنح الشاعر مساحة واسعة للبوح والتدفق الشعوري دون الارتهان لقيود القافية الموحدة أو الأطوال المتساوية للأشطر. وقد جاءت البنية التركيبية للقصيدة لتعكس حالة "اللهاث" الروحي الذي يعانيه المريد في بحثه عن الموت/الخلاص.

ومن أبرز السمات البنائية التي ترصدها الباحثة في هذا النص:

١. **تقنية التكرار:** يعتمد الشاعر على تكرار لازمة شعرية محددة أو أفعال مضارعة تدل على الاستمرارية والمعاناة (أبحث، أطرق، أرحل). هذا التكرار لا يأتي من قبيل الحشو، بل يشكل "إيقاعاً داخلياً" يشبه تكرار الصوفي في حلقات الذكر (الورد الصوفي)، مما يخلق حالة من التنويم المغناطيسي الشعري، تصعد بالمتلقي والشاعر معاً نحو ذروة الوجد (الموت).

٢. **التضمين وتداخل السطور (Enjambment):** تتلاحم الأسطر الشعرية في القصيدة بحيث لا يكتمل المعنى في سطر واحد، بل يمتد إلى السطور التي تليه. هذا التمدد التركيبي يوازي التمدد الروحي لرحلة المريد؛ فالرحلة نحو الموت/الوصول ليست رحلة متقطعة، بل هي سيرورة متصلة تتلاشى فيها الحدود بين البداية والنهاية.

٣. **البنية الدائرية:** تبدأ القصيدة عادة من نقطة الاغتراب والضياع، وتتدرج نحو ذروة الكشف والموت، ثم تعود لتغلق دائرتها على النقطة ذاتها ولكن بوعي جديد. إنها تمثل الحركة الحلزونية للتاريخ وللروح البشرية التي تنبعث بعد كل موت.

في النص، يقدم البياتي صورة المريد الواقف على أبواب المطلق، مستجدياً الفناء المادي ليدرك البقاء الروحي، وتتجلى هذه البنية من خلال حركية الأفعال التي تضع المريد دائماً في حالة "سفر" دائم نحو موته الاختياري. فالنص ليس سوى مسرح لغوي، تتجسد عليه دراما الروح البشرية في صراعها من أجل التحرر من سجن الجسد (الواقع) والعبور نحو المطلق (الموت والانبعاث). إن هذا التمهيد النصي والبنيوي، يشرع الأبواب أمام البحث للانتقال إلى التحليل الدلالي والرمزي العميق لمفهوم الموت داخل جسد القصيدة في المبحث القادم.

المبحث الثالث: دلالة الموت في القصيدة ـــ التحليل الدلالي والرمزي

يُشكل الموت في قصيدة "المريد" بؤرةً دلاليةً تشعّ منها شبكة من الرموز والإيحاءات التي لا يمكن الإحاطة بها عبر القراءة السطحية للنص. إذ يتجاوز الشاعر عبد الوهاب البياتي المفهوم القاموسي للموت، ليحيله إلى "فضاءٍ نصي" تتصارع فيه قوى الوجود والعدم، والنور والظلمة، والقيود والانعتاق. وتذهب الباحثة في هذا

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

المبحث إلى تفكيك هذه البنية الرمزية، متتبعةً تجليات الموت وانزياحاته الدلالية داخل النسق الشعري، للكشف عن الرؤية الفلسفية المعقدة التي يطرحها الشاعر من خلال قناع "المريد".

أولاً: الموت بوصفه عتبةً للعبور والولادة

يفتتح البياتي قصيدته بمشهديةٍ دراميةٍ تضع "المريد" في حالة وقوفٍ أبديّ أمام أبوابٍ موصدة، ممثلاً حالة الإنسان المعاصر المحاصر باليأس والعدمية. في هذا المشهد، لا يظهر الموت كنهاية مخيفة، بل كـ "عتبة" لا بد من اجتيازها للوصول إلى الحقيقة. يقول الشاعر على لسان المريد:

أطرقُ أبوابَ المدينةِ العمياءْ
أبحثُ في الرمادِ عن شرارةِ البقاءْ
يا سيدي، قد أثقلتْ خطايَ هذه الدماءْ
فلتأخذِ الجسدَ الذي تآكلتْ فيه الرؤى
ولتمنحِ الروحَ فضاءَ الانعتاقْ

يتبين من التحليل الدلالي لهذه الأسطر أن معجم البياتي ينقسم إلى قطبين متنافرين: قطب يمثل الواقع الأرضي المدنس (المدينة العمياء، الرماد، الدماء، الجسد)، وقطب يمثل المأمول الطاهر (شرارة البقاء، الروح، فضاء الانعتاق). إن المريد هنا يعاني من "ثقل الجسد" الذي يشده إلى الأرض، ويرى في هذا الجسد سجناً يعيق الرؤيا ("تآكلت فيه الرؤى"). لذلك، يصبح طلب الموت – الممثل في التخلي عن الجسد – مطلباً إرادياً وضرورةً أنطولوجية.

يشير الناقد الدكتور محيي الدين صبحي في كتابه "الرؤيا في شعر البياتي" إلى أن التخلص من الجسد في التجربة البياتية هو بمثابة "خلع للرداء الدنيوي" استعداداً لارتداء حلة الخلود. الموت هنا هو عملية "انسلاخ"، وهو المعادل الموضوعي للولادة الجديدة، فلا انبعاث للروح إلا بموت الجسد وتحلله في الرماد. وتؤكد الباحثة أن دلالة "طرق الأبواب" توحي بحالة السعي المستمر والتوتر الوجودي؛ فالمريد لا ينتظر الموت السلبي، بل يسعى إليه سعياً، باحثاً عن شرارة النور وسط ركام الهزائم.

ثانياً: دلالة الاحتراق وتطهر الذات (جدلية الفراشة والنار)

تُعد تيمة "النار" من أبرز الرموز المرافقة لمفهوم الموت في ديوان الشعر الصوفي عموماً، وفي شعر البياتي خصوصاً. وقد استدعى الشاعر في قصيدة "المريد" أسطورة "الفراشة والنار" التي صاغها الحلاج قديماً، ليعبّر من خلالها عن لذة الفناء في المبدأ أو المعشوق المطلق. الموت احتراقاً هو أسمى درجات الموت الإرادي، لأنه يمثل التوحد التام وإلغاء المسافة بين العاشق والمعشوق. يقول البياتي:

أدنو من النارِ التي تضيءُ عتمةَ اليقينْ
كطائرٍ أعمى، أطيرُ في لهيبها
أحترقُ... أحترقُ
لكي أرى وجهي الذي أضعتهُ في الطينْ
يا نارُ، كوني كفني... وكوني المهدَ واليقينْ

يكشف هذا المقطع عن انزياحٍ مذهلٍ في دلالة الموت؛ فالاحتراق الذي هو في الأصل تدمير ومحو، يتحول هنا إلى فعل "كشف" واكتشافٍ للذات الحقيقية. وتلفت الباحثة الانتباه إلى التشبيه البليغ في قوله (كطائر أعمى)؛ فالعمى هنا ليس فقداناً للبصر المادي، بل هو انسداد بصيرة الإنسان في واقعه الطيني المتدني. ولا يمكن استعادة البصر/البصيرة إلا بالدخول في مركز النار (الموت).

كما يتجلى التكرار في الفعل المضارع (أحترقُ... أحترقُ) ليجسد استمرارية الألم وعذابات المكابدة الروحية التي يعيشها المريد. هذا التكرار الصوتي يخلق إيقاعاً لاهثاً يوازي لوعة السالك الصوفي. الأهم من ذلك كله هو المفارقة الدلالية في السطر الأخير (يا نارُ، كوني كفني... وكوني المهد). لقد جمع البياتي بين "الكفن"

الذي يرمز للموت والنهاية، و"المهد" الذي يرمز للطفولة والبداية، في بوتقة "النار". وتستنتج الباحثة من ذلك أن النار (الموت) هي أداة التطهير التي تمحو خطايا الواقع الطيني لتلد الإنسان حراً ونقياً من جديد.

ثالثاً: الموت بوصفه غياباً وحضوراً (الفناء والبقاء)

تتأسس دلالة الموت عند المريد في هذه القصيدة على الجدلية الصوفية المعروفة بـ (الفناء والبقاء)، أي الغياب عن عالم الشهادة والحضور في عالم الغيب. غير أن البياتي، بوصفه شاعراً حداثياً مسكوناً بهموم أمته، يسحب هذه الجدلية من فضائها الميتافيزيقي التجريدي، ليُسقطها على الواقع السياسي والاجتماعي. فالمريد يموت (يغيب) جسدياً، لكنه يترك خلفه "صوتاً" أو "فكرة" تبقى حية (تحضر) في وعي الأجيال. يعبر البياتي عن هذه الرؤية بقوله:

غيّبني الموتُ لكي أحضرَ في الأغنيةِ
في الكلمةِ التي تُضيءُ ليلَ التائهينْ
متنا، لكي تنبتَ من أرواحنا
سنابلٌ تفترشُ الحقولَ في مواسمِ الحنينْ
فالموتُ ليس حفرةً، بل سلمٌ للغيمِ والنجومْ

تبرز هنا دلالة الموت كـ "تضحية فدائية" (Sacrifice). إن غياب المريد ليس عدماً، بل هو انتقال من الوجود الفيزيقي المحدود إلى الوجود الرمزي اللامحدود (الحضور في الأغنية والكلمة). وتؤكد الباحثة أن استخدام ضمير الجمع (متنا) بدلاً من ضمير المتكلم المفرد، يعد تحولاً استراتيجياً في القصيدة؛ إذ ينتقل المريد من دائرة الخلاص الفردي الصوفي، إلى دائرة الخلاص الجماعي الثوري. لقد أصبح موته "موتاً خصيباً"، وهو ما تُترجمه دلالة (السنابل التي تنبت من الأرواح).

يرى الدكتور جابر عصفور في كتابه "أقنعة الشعر المعاصر" أن الشاعر الحديث عندما يرتدي قناع الصوفي، فإنه يبحث عن "الموت المعرفي" الذي يوقظ المجتمع من سباته. فالموت عند البياتي في هذا السياق لم يعد حتمية باطنية فحسب، بل صار فعلاً نضالياً مقصوداً. الجملة الشعرية (فالموت ليس حفرةً، بل سلمٌ) هي تصريح مكثف وعميق ينفي النظرة التقليدية للموت بوصفه نهاية مقبضة (الحفرة/القبر)، ويستبدلها بصورة ديناميكية صاعدة (السلم/الارتقاء).

رابعاً: التناص مع الأساطير وصناعة المعادل الموضوعي

لم يكتفِ البياتي في قصيدته بالمرجعية الصوفية الخالصة لدعم دلالة الموت، بل عمد إلى تطعيم نصه بإشارات خفية تتناص مع أساطير الخصب والنماء في الشرق القديم، لا سيما أسطورة "تموز" الذي يهبط إلى العالم السفلي (يموت) ليصعد في الربيع حاملاً الخضرة والمطر (ينبعث).

يتجلى هذا التناص الدلالي في اقتران الموت بالدورة الطبيعية للمواسم، حيث يمتزج الموت الطقوسي بالتجدد الكوني. فالمريد حينما يطالب بالموت والانصهار في الرماد، إنما يستحضر طائر "الفينيق" الأسطوري الذي يحترق ليخرج من رماده طائراً فتياً. إن هذا التداخل بين "الصوفي" و"الأسطوري" منح دلالة الموت في قصيدة "المريد" كثافة وعمقاً؛ حيث أصبح موت البطل/المريد شرطاً أساسياً لإنقاذ "المدينة العمياء" من الجدب الروحي والسياسي الذي يضرب أطنابها.

ومن خلال هذا التحليل الدلالي والرمزي العميق، تتضح للباحثة براعة عبد الوهاب البياتي في تطويع اللغة وانزياحها. فقد حوّل مفردات النهاية والفناء إلى مفرداتٍ تضج بالحركة والولادة. فالموت في "المريد" هو نارٌ مطهرة، وعتبةٌ للوصول، وسلّمٌ للارتقاء، وتضحيةٌ تنبت سنابل للغد، مما يثبت أن النص الشعري هنا ليس مرثيةً حزينة للإنسان المقهور، بل هو بيانٌ وجودي يبشّر بالانبعاث من قلب الركام.

المبحث الرابع: الموت عند البياتي في ضوء التراث الصوفي والوجودي

تتأسس التجربة الشعرية عند عبد الوهاب البياتي على تفاعلٍ مركبٍ بين مرجعياتٍ ثقافيةٍ متعددة، غير أن المرجعية الصوفية الإسلامية، والفلسفة الوجودية الغربية، تمثلان الرافدين الأساسيين اللذين غذيا رؤيته لمفهوم الموت. وتكشف الدراسة أن البياتي لم يتعامل مع هذين التراثين بوصفهما قوالب جاهزة للاستعارة، بل

عمد إلى صهرهما في بوتقةٍ شعريةٍ واحدة، لينتج "دلالة هجينة" تعكس مأزق الإنسان العربي المعاصر وتطلعه نحو الخلاص.

أولاً: البعد الصوفي (الموت بوصفه كشفاً واتحاداً)

يمثل التراث الصوفي في شعر البياتي، وتحديداً في قصيدة "المريد"، الحاضنة الروحية والجمالية التي تتنفس من خلالها القصيدة. وقد سبق القول إن الموت عند المتصوفة ليس نهاية فيزيقية، بل هو "موت إرادي" (الفناء عن إرادة النفس للوصول إلى البقاء في إرادة الحق). تستفيد الباحثة هنا مما طرحه الدكتور عبد الرضا علي في دراساته حول قناع الصوفي في الشعر الحديث، حيث يشير إلى أن البياتي استدعى شخصيات صوفية إشكالية (كالحلاج، والسهروردي، والنفري) لأنها شخصياتٌ عاشت تجربة الموت الفعلي أو الصلب نتيجةً لمواقفها.

إن "المريد" في قصيدة البياتي يتكئ على مقولة النفري الشهيرة: "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة"؛ فالموت بالنسبة له هو المساحة القصوى لاتساع الرؤية، حيث تتهاوى حدود اللغة والجسد، وينكشف المطلق. يرى البحث أن البياتي وظف مصطلحات التصوف (الوجد، الكشف، الحلول، العتبة، الرماد) لتأسيس "لغة ما وراء واقعية". غير أن الصوفية عند البياتي تختلف عن صوفية الأسلاف في نقطة جوهرية؛ فالمتصوف القديم كان يطلب الموت هرباً من عالم الناس وتوقاً للذات الإلهية، بينما "المريد" المعاصر عند البياتي يطلب الموت ليوقظ عالم الناس من سباته، إنه "تصوف ثوري" مشتبك مع قضايا الأرض والوطن. الموت هنا ليس انسحاباً سلبياً، بل هو أعلى درجات المشاركة الإيجابية في تغيير العالم عبر التضحية والفداء.

ثانياً: البعد الوجودي (الموت بوصفه اختياراً حراً وحتمية أصيلة)

في موازاة النزعة الصوفية، تتقاطع دلالة الموت في قصيدة "المريد" مع طروحات الفلسفة الوجودية، كما تجلت عند فلاسفة من أمثال جان بول سارتر وألبير كامو، وخاصة مفهوم "الكينونة نحو الموت" عند مارتن هايدغر. لقد عاش البياتي، شأنه شأن مثقفي جيله، تجربة الاغتراب والمنفى والعبث السياسي، وهي تجارب تتطابق مع مفهوم "القذف في العالم" (Thrownness) الذي تحدثت عنه الوجودية، حيث يجد الإنسان نفسه ملقىً في عالم عبثي لا معنى له.

تُظهر القراءة التحليلية لقصيدة "المريد" أن البطل لا يتعامل مع الموت بوصفه قدراً أعمى يُفرض عليه من الخارج، بل بوصفه "مشروعاً حراً" يختاره بكامل إرادته. إن وقوف المريد أمام "الأبواب" واستعجاله للنار، هو تجسيد للموقف الوجودي الذي يرى أن الإنسان لا يمتلك ماهيته إلا من خلال حريته في الاختيار. وفي عالمٍ سُدّت فيه منافذ الفعل السياسي والاجتماعي، يصبح اختيار "الموت الفدائي" هو الفعل الوحيد الذي يمنح الحياة معناها المفقود.

تشير الدكتورة يمنى العيد في مقارباتها النقدية للشعر العربي الحديث، إلى أن شعر التفعيلة قد استبطن القلق الوجودي المعاصر، فحوّل الموت من "مرثية للذات" إلى "إدانة للعالم". وهذا بالضبط ما يفعله مريد البياتي؛ فهو بموته الاختياري (سواء أكان احتراقاً أم غياباً) يدين "المدينة العمياء" ويفضح زيفها وتخلفها.

ثالثاً: التوليف البياتي (المريد الصوفي - الوجودي)

تكمن عبقرية البياتي في قصيدة "المريد" في قدرته على توحيد المسارين الصوفي والوجودي في نسق دلالي واحد لا تنافر فيه. فالمريد متصوفٌ في أداة بحثه (الحدس، العشق، الفناء)، ووجوديٌ في منطلقاتهومآلاته (القلق، الاغتراب، التمرد، اختيار المصير). لقد جعل الشاعر من الموت "نقطة ارتكاز" تتلاشى عندها الفروق بين ميتافيزيقا الغيب الصوفي وأنطولوجيا الواقع الوجودي. الموت في القصيدة هو "موقف رفْض" بامتياز؛ رفضٌ لفساد الجسد والمادة (الرؤية الصوفية)، ورفضٌ لعبثية الأنظمة والقمع والتسلط (الرؤية الوجودية). وبذلك، استطاعت الدراسة أن تثبت أن الموت عند البياتي ليس ترفاً فلسفياً، بل هو التعبير الأصدق عن مأساة "المثقف العضوي" الذي يدفع دمه ثمناً لكلمته ورؤياه.

المبحث الخامس: المقارنة بين دلالة الموت عند البياتي وشعراء الحداثة العرب

No 4A العدد 4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

لا يمكن إدراك خصوصية التجربة البياتية في توظيف دلالة الموت بشكل دقيق، إلا بوضعها في سياقها الأوسع، ومقارنتها بتجارب مجايليه من رواد حركة الشعر الحر (الرواد التموزيين). فقد اشترك هؤلاء الشعراء في استدعاء أساطير الموت والانبعاث كاستجابة درامية لواقع الأمة المأزوم، إلا أن كل شاعرٍ منهم نحت لمفهوم الموت ملامح تتوافق مع مزاجه النفسي ورؤيته الفلسفية. وتعقد الباحثة في هذا المبحث مقارنة نقدية تبرز أوجه التقاطع والافتراق بين دلالة الموت عند البياتي، وكل من: بدر شاكر السياب، أدونيس، وخليل حاوي.

أولاً: البياتي والسياب (بين الموت الروحي والموت البيولوجي)

ارتبط الموت في تجربة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب ارتباطاً جذرياً بالمعاناة الجسدية والمرض العضال الذي نهش جسده في سنواته الأخيرة، فضلاً عن إحساسه الحاد بالحرمان والغربة. يميل البحث إلى الاستنتاج بأن الموت عند السياب اتخذ طابعاً "بيولوجياً ورعائياً" (Pastoral)؛ فهو يرى الموت تحللاً في طين الأرض للاتحاد بالطبيعة الأم، ليكون موته فداءً لولادة العراق من جديد عبر أسطورة المطر وتموز. يقول السياب في إحدى قصائده: "الموتُ عالمٌ غريبْ / يفتنُ الصغارْ".

في المقابل، يتجرد الموت عند البياتي في قصيدة "المريد" من ثقله البيولوجي والمرضي، ليصبح موتاً "ثقافياً ومعرفياً". البياتي لا يبكي جسداً ينحلّ، بل يبكي "مدينةً عمياء" فقدت بوصلتها. الموت البياتي مسيَّج بالمعجم الصوفي والفلسفي، وهو موت "نخبوي" يختاره المريد بوعي تام (الاحتراق في النار)، بينما يقف السياب أمام الموت موقف الخائف المستسلم حيناً، والمستغيث بآلهة الخصب حيناً آخر. إذا كان السياب يعول على "الماء/المطر" للانبعاث، فإن البياتي يعول على "النار/الرماد" للتطهر والولادة.

ثانياً: البياتي وأدونيس (بين البعث التراثي والهدم المستمر)

يمثل أدونيس (علي أحمد سعيد إسبر) القطب الأكثر جذرية في حركة الحداثة العربية. الموت عند أدونيس، كما يتجلى في ديوانه "أغاني مهيار الدمشقي"، هو "موتٌ بنيوي وهدّام". إنه يرى ضرورة "موت الماضي" والتراث برمته، وموت الأشكال القديمة لبناء عالم جديد على أنقاضه. الموت الأدونيسي هو تمرد ميتافيزيقي شامل يرفض الانتماء إلى السائد، ويعلي من شأن التحول الدائم (Metamorphosis).

وعند مقارنة هذه الرؤية بما جاء في "المريد" للبياتي، تلاحظ الدراسة تفاوتاً عميقاً في التعاطي مع التراث؛ فالبياتي لا يسعى إلى "إماتة" التراث هدمًا كما يفعل أدونيس، بل يسعى إلى "إحيائه" وتثويره من الداخل عبر استعارة أقنعة الأسلاف (الصوفية). الموت عند البياتي هو محاولة للاتصال بالجذور المضيئة في التاريخ العربي، واستدعاؤها لمحاكمة الحاضر المظلم. المريد البياتي يموت ليُبقي على "الكلمة/الأغنية"، بينما مهيار الأدونيسي يموت ليخلق أبجدية جديدة لا علاقة لها بما سبق. الموت البياتي صوفيّ دافئ وملتزم بقضايا الجماهير (الفقراء، المسحوقين، المناضلين)، في حين يميل الموت الأدونيسي إلى التجريد النخبوي والتعالي الفلسفي البارد.

ثالثاً: البياتي وخليل حاوي (بين حتمية الانبعاث وعدمية الرماد)

شكلت أسطورة الفينيق ورماد الاحتراق قاسماً مشتركاً بين الشاعر اللبناني خليل حاوي وعبد الوهاب البياتي. كلاهما رأى في الموت/الاحتراق معبراً لا مفر منه لنهضة الأمة. إلا أن تجربة حاوي اصطدمت بصخرة اليأس المطلق؛ فقد كان الموت في قصائده كـ "نهر الرماد" و"الناي والريح" يتحول تدريجياً من موت فدائي يُرجى من ورائه البعث، إلى موت عدمي ثقيل. لقد اكتشف حاوي أن الرماد العربي تراكم ولم يخرج منه طائر الفينيق المأمول، وهو ما انعكس على نهايته المأساوية الحقيقية (انتحاره عام ١٩٨٢ إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان).

أما البياتي، وعلى الرغم من مرارة التجربة وعمق الجراح في قصيدة "المريد" وغيرها، فقد ظل متشبثاً بـ "حتمية الانبعاث". تخلص الباحثة إلى أن دلالة الموت عند البياتي لم تسقط أبداً في مستنقع العدمية المطلقة أو الانتحار المجاني. الموت لديه يحمل دائماً دلالة "الحمل" أو "المخاض" العسير. فعندما يقول في "المريد": (متنا، لكي تنبت من أرواحنا / سنابلٌ تفترش الحقول)، فإنه يضع الموت في مرتبة "الوعد" القاطع بالميلاد

الجديد، منتصراً لجدلية الحياة التي لا تُقهر، ومحارباً اليأس بقوة اليقين الصوفي الذي يرى النور في قلب العتمة الأشد حلكة.

بهذه المقاربة، يتأكد للدراسة أن دلالة الموت عند عبد الوهاب البياتي تمثل نسيجاً فريداً في خريطة الحداثة العربية؛ فهو موتٌ يوازن ببراعة بين الوعي الفجائعي للواقع، والإشراق الروحي الصوفي، والالتزام الثوري الذي يرفض الاستسلام للعدم.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الرحلة التحليلية والاستقصائية في فضاءات قصيدة "المريد" للشاعر عبد الوهاب البياتي، والتي سعت الباحثة من خلالها إلى تفكيك البنية الدلالية والرمزية لمفهوم الموت، والكشف عن مرجعياته التراثية وأبعاده الفلسفية؛ نصل إلى المحطة الختامية التي تبلور فيها الدراسة أهم ما توصلت إليه من استنتاجات ونتائج علمية.

لقد أثبت البحث أن ظاهرة الموت في النص البياتي لا تقف عند حدود الانفعال الرثائي السطحي، بل تتجاوزه لتشكل نسقاً معرفياً متكاملاً، يعكس أزمة الذات العربية ومحاولتها المستميتة لتجاوز انكساراتها التاريخية.

وتُجمل الباحثة أبرز النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة في النقاط الآتية:

أولاً: كشفت الدراسة التتبعية لمفهوم الموت في الأدب العربي، أن الشاعر المعاصر لم ينقطع عن جذوره التراثية، بل دخل معها في حوارٍ جدلي. فقد تدرج الموت من كونه حتمية قدرية عمياء في العصر الجاهلي، مروراً برؤيته الغيبية والانتقالية في العصور الإسلامية، وتأملاته الفلسفية في العصر العباسي، وصولاً إلى ذروة التوظيف الفني في الشعر الحديث، حيث تحول الموت إلى "أسطورة انبعاث" وبنية دلالية تعبر عن الخصب والميلاد المتجدد.

ثانياً: تبيّن من خلال التحليل النصي لقصيدة "المريد"، أن عبد الوهاب البياتي وظّف "القناع الصوفي" بوعي حداثي فائق الدقة. فلم يكن استدعاء شخصية "المريد" ارتداداً سلبياً نحو الماضي، أو بحثاً عن خلاص فردي منعزل عن قضايا المجتمع، بل كان تشكيلاً لـ "معادل موضوعي" يجسد محنة المثقف الثوري. إن مريد البياتي هو رائي العصر الذي يسعى إلى إيقاظ وعي "المدينة العمياء" عبر التضحية بالنفس، محولاً الموت من حالة باطنية صوفية إلى فعل نضالي مشتبك مع الواقع المادي.

ثالثاً: توصّل البحث إلى أن البنية المعجمية والتركيبية في القصيدة تضافرت لإنتاج انزياح دلالي عميق لمفهوم الموت. فقد تجاوز الشاعر المعجم الجنائزي التقليدي، واعتمد بنية لغوية قائمة على التضاد (الرماد/الشرارة، العتمة/اليقين، الجسد/الروح). وظهر الموت مجللاً برموز الحركة والتطهر، وأبرزها دلالة "الاحتراق بالنار" التي اتخذت طابعاً طقوسياً يطهر الذات من أدرانها الطينية، ويمهد لولادة الإنسان الحر النقي. كما لعب التكرار وتداخل السطور دوراً محورياً في تجسيد إيقاع المكابدة الروحية التي يعانيها المريد.

رابعاً: أثبتت المقاربة الفلسفية للنص أن دلالة الموت عند البياتي تمثل هجيناً معرفياً يدمج بين التراث الصوفي (الفناء في سبيل الحق والكشف) والفلسفة الوجودية (الاختيار الحر في مواجهة العبث). الموت في القصيدة هو رفض مطلق للاغتراب والقمع، وهو "مشروع وجودي" يختاره المريد بإرادته ليمنح الحياة معناها المفقود، متجاوزاً بذلك نظرة الخوف السلبية، ليجعل من الموت سلماً للارتقاء لا حفرة للعدم.

خامساً: أوضحت المقارنة النقدية بين البياتي ومجايليه من رواد الحداثة، أن التجربة البياتية تنفرد برؤية استثنائية للموت؛ فهي تبتعد عن الموت البيولوجي الاستسلامي (كما عند السياب)، وعن الموت العدمي المغلق (كما عند حاوي)، وعن الهدم الجذري للتراث (كما عند أدونيس). لقد قدّم البياتي "موتاً خصيباً" ومفعماً بالأمل الإيجابي، موتاً يزرع الأرواح لتنبت منها سنابل المستقبل، مما يؤكد أن نصه يمثل انتصاراً للحياة ولحركة التاريخ التصاعدية.

ختاماً، تأمل الباحثة أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في إضاءة زاوية مهمة من زوايا الإبداع الشعري عند عبد الوهاب البياتي، مقدّمةً مقاربةً نقديةً جادة لدلالة الموت بوصفها مفتاحاً سيميائياً لفهم التحولات العميقة في بنية القصيدة العربية الحديثة، وداعيةً إلى مزيد من الدراسات الأكاديمية التي تسبر أغوار هذا المنجز الشعري الثري.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأساسية (الدواوين الشعرية)

١. البياتي، عبد الوهاب. (١٩٩٥). **الأعمال الشعرية الكاملة** (المجلد الأول والثاني). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ثانياً: المراجع العربية (الكتب النقدية والأدبية)

٢. إسماعيل، عز الدين. (١٩٨١). **الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**. القاهرة: دار الفكر العربي.

٣. بلام، أسماء. (٢٠١٠). **شعرية الخطاب الصوفي في القصيدة العربية المعاصرة**. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

٤. ضيف، شوقي. (١٩٦٠). **تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي**. القاهرة: دار المعارف.

٥. عباس، إحسان. (١٩٧٨). **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**. عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

٦. عبد المطلب، محمد. (١٩٩٥). **بناء الأسلوب في شعر الحداثة**. القاهرة: دار المعارف.

٧. عصفور، جابر. (١٩٩٨). **أقنعة الشعر المعاصر**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٨. علي، عبد الرضا. (١٩٨٣). **الأسطورة والقناع في الشعر العربي الحديث**. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

٩. العلاق، علي جعفر. (١٩٩٧). **الشعر والتلقي: دراسات نقدية في الشعر العربي الحديث**. عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١٠. عوض، ريتا. (١٩٨٧). **أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١١. العيد، يمنى. (١٩٨١). **في معرفة النص: دراسات في النقد الأدبي**. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

١٢. فضل، صلاح. (١٩٩٢). **أساليب الشعرية المعاصرة**. بيروت: دار الآداب.

١٣. صبحي، محيي الدين. (١٩٧٠). **الرؤيا في شعر البياتي**. بيروت: دار الآداب.

١٤. شكري، غالي. (١٩٦٨). **شعرنا الحديث... إلى أين؟**. القاهرة: دار المعارف.

ثالثاً: الدوريات والمجلات الأكاديمية

١٥. الجادر، سامي. (٢٠٠٥). "الرمز الصوفي ودلالاته في شعر عبد الوهاب البياتي". **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، العدد ٧٢، ص ١٤٥-١٨٠.

١٦. حسن، خليل. (٢٠١٢). "المرجعيات الفلسفية للموت في حركة الشعر الحر". **مجلة فصول للنقد الأدبي**، القاهرة، المجلد ٢١، العدد ٣، ص ٨٩-١١٢.

١٧. كاظم، زينب. (٢٠١٨). "تقنية القناع في شعر البياتي: دراسة تداولية". **مجلة جامعة القادسية للآداب والعلوم التربوية**، الديوانية، المجلد ١٨، العدد ٤، ص ٢١٠-٢٣٥.

رابعاً: المعاجم والموسوعات

١٨. ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤ هـ). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

١٩. الطوسي، أبو نصر السراج. (١٩٦٠). **اللمع في التصوف**. تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، القاهرة: مكتبة المثنى.